اللغة المصرية القديمة

﴿ الهيروغليف ﴾

لغتا مصر القديمة . منشأ اللغة الهيروغليفية وسورها . اقتباس الفينيقيين حروفهم الهجائية منها . شمبوليون في مصر وهنافه لشرفه من مائها . حجر رشيد . حل شمبوليون رموز هذه اللغة بوقوفه على كلمتين منشورتين هنا (الرسم الثاني العمود الثاني)

كل متأمل في الوف السياح والعلماء والامراء الذين يفدون من اوروبا في كل عام الى القطر المصري ويصرفون فيه قسماً من وقتهم ومالهم لا يسعهُ الاَّ الثناء على اهل الهمم والمعارف الذين مهدوا لهم هذا السبيل فاوجدوا به للقطر ثروة جديدة . ومن هؤلاء الافاضل الذين جعلوا القطر المصري محطّ رحال اهل العلم والوجاهة في العالم بضعة من علماء الآثار المصرية الذين نشروا في اوروبا واميركا محاسن مصر بما كتبوه عنها وحلوا رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليف) ففتحوا بذلك للناس كنوز تاريخ الامة المصرية القديمة التي كانت بلادها منشاءً للعمران والمدنية . وفي مقدمة هؤلاء العلماء في صف مخصوص به وحده العلاَّمة شمبوليون . فان هذا العالم الفرنسوي هو الذي اكتشف اسرار الاحرف الهيروغليفية ومكّن الناس من قراءة الآثار المصرية والوقوف على تاريخ مصر . وهو ايضاً كاتب اجمل وصف لمصر ومحاسنها حتى ان قارىء مؤلفاته خصوصاً « سياحته في مصر » يعشق بلاد مصر وآثارها لكثرة اطرائه لها

﴿ **الكتابة الهيروغليفية** ﴾ ولكن قبل ان نأتي على شيء من تاريخ اكتشاف اسرار الكتابة الهيروغليفية نذكر شيئاً عنها

في الزمن القديم كان في مصر لغتان . لغة للعامة وهي التي يتكلمون ويكتبون بها . ولغة للخاصة تُنقش بها الكتابات على الآثار وهي اللغة الهيروغليفية المقدسة . فشأن ذلك شأن اللغة العربية العامية واللغة الفصحى في هذا الزمان تقريباً : وكلامنا هنا عن اللغة المصرية القديمة الفصحى اي الهيروغليف

وهذه اللغة كانت مؤلفة من اكثر من ثلاثة آلاف علامة . وهي عبارة عن صور تدل على المعنى المقصود ابلاغه . وهذا منشاء الكتابة . لانه من الثابت ان البشر قد تكلموا قبل ان

يكتبوا . ولما ارادوا الكتابة للتعبير عن كلامهم كانوا يعبرون عن كل معنى بصورة . فاذا راموا الدلالة على الاسد صوروا اسداً او الشجرة صوروا شجرة . ثم لما كثرت هذه الصور اضطروا الى الاختصار فكانوا اذا ارادوا الدلالة على حرب وقعت يصوّرون يداً تحمل حربة وترساً بدلاً من تصوير صورة معركة . ولما قدم عهدهم بهذه الاصطلاحات تحوّلت من صور الى اصوات . مثال ذلك صورة البيت . فانهم كانوا اولاً اذا راموا ان يكتبوا (بيت) صوروا البيت تصويراً . وحين قراءته يلفظونه مثلاً (بيت) ثم مع كرور الوقت تغيرت لفظة (البيت) تبعاً لناموس الاختصار وصارت (باء) فصار لفظ (البيت) عبارة عن حرف هو (الباء) وبذلك نُقلت الصورة الى صوت وصار هذا الصوت حرفاً . وحينئذٍ لم يعد رسم البيت دليلاً على البيت بل صار حرفاً هجائياً هو (الباء) . خصوصاً بعد حذف الحرف الصوتي للاستغناء عنه وعدم استعماله احياناً الا عند الحاجة اليه اي في اوّل الكلمة وآخرها

هذا مثال على انتقال الصور من الرسم الى الصوت كما هي الحالة في الهيروغليفية . ولقد كان للمصريين القدماء فضل عظيم بهذا النقل لان الفينيقيين اخذوا على الارجح حروفهم الهجائية عنهم وادخلوا فيها ما ادخلوه من التغيير ثم نشروها في اقطار الارض وبها عمّوا الامم الكتابة

وتجد الاحرف الهيروغليفية في (الرسم الاوّل) في هذا الفصل . ولكل حرف منها عدة صور كما ترى تبعاً للاصل . فمنها صور طيور وكلاب وضفادع وسمك واوراق ونجوم وبشر وغيرها . واما الرسم الثاني ففيه اسماء بعض الملوك والامراء منذ العصر المصري القديم الى العصر الروماني . وهي مكتوبة بذات الشكل والهيئة التي توجد بها على الآثار المصرية اي في هيئة خرطوشية اكراماً للملوك كما كانت عادتهم في الكتابة . ويقابل هذه العادة عندنا اليوم وضع اسماء الملوك والامراء في اثناء الكتابة بحروف ممتازة

شمبوليون مكتشف اسرارها ولد شمبوليون في فيجاك من اعمال فرنسا في سنة ١٧٩٠ وتوفي في باريز في سنة ١٨٣٢ . وقد انصبَّ منذ صغره على درس اللغة العبرانية والعربية والكلدانية والسريانية والحبشية للاستعانة بها على درس احوال الشرق . وقد استمالته مصر اليها في اثناء الدرس دون جميع الامم الشرقية فانقطع الى البحث في تاريخها وشؤونها . ولكن ماذا يجدي درس تاريخ مصر اذا كانت اللغة المصرية التي كُتب بها هذا التاريخ على الآثار المصرية لا تزال مجهولة . فانصرف منذ ذلك الحين الى درس اللغة الهيروغليفية . وقد مر بك ذكر الصعوبة التي كانت قائمة في وجه طلاب هذه اللغة

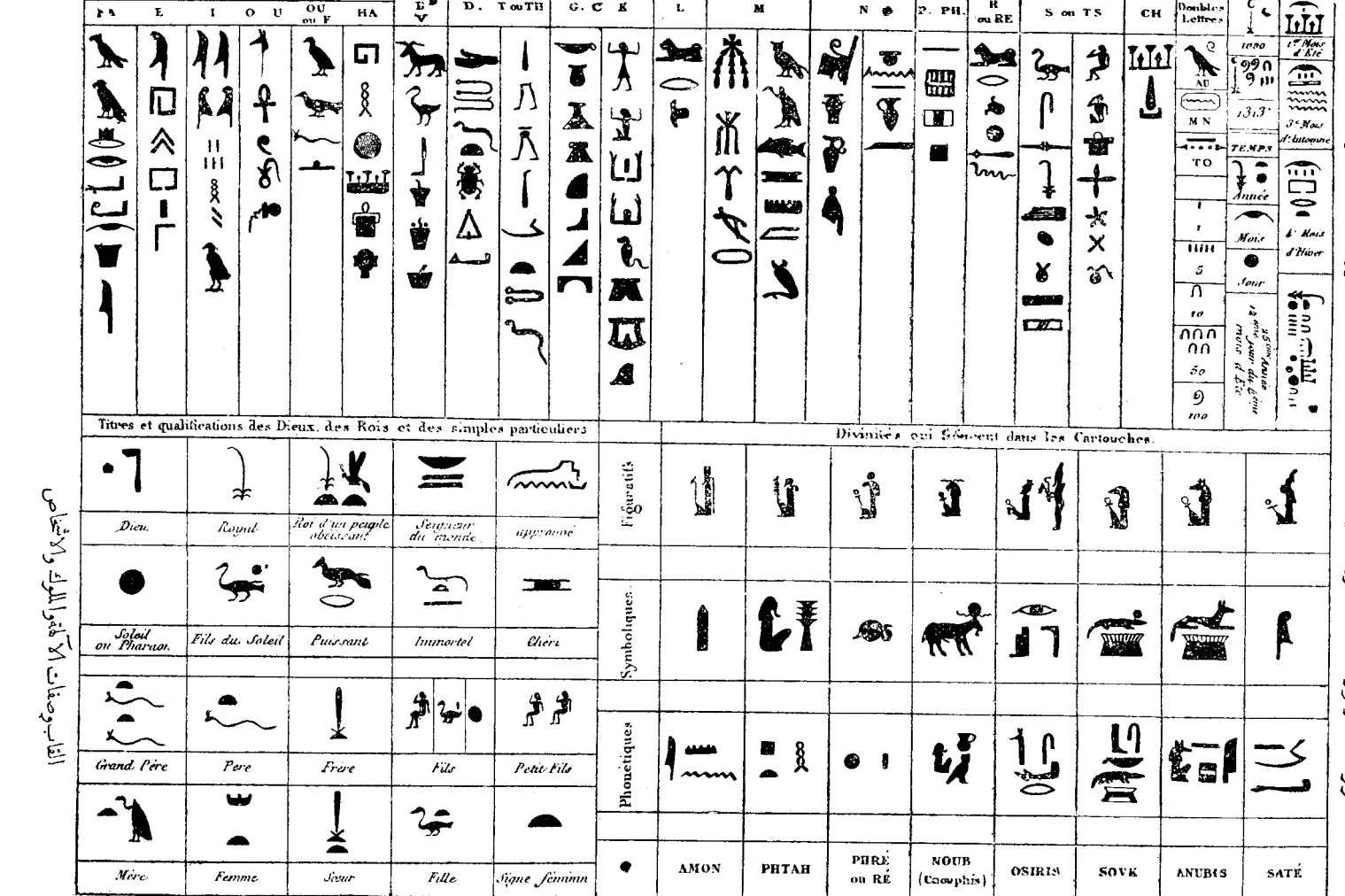
حروف الهجاء الهيروغليفية
صور كلمات رموزاً للآلهة المصرية القديمة
الألقاب وصفات الآلهة والملوك والأشخاص
A E I O U OU ou F HA
E V
D. T ou TH
G. C K
L
M
N
P. PH.
R ou RE
S ou TS
CH
Doubles Lettres
AU
M N
TO
1000
3333
TEMPS
Année
Mois
Jour
1er Mois d'Eté
3e Mois d'Automne
4e Mois d'Hiver
Titres et qualifications des Dieux, des Rois et des simples particuliers
Dieu.
Roi.
Roi d'un peuple obéissant.
Seigneur du monde.
approuvé
Soleil ou Pharaon.
Fils du Soleil
Puissant
Immortel
Chéri
Grand Père
Père
Frère
Fils
Petit-Fils
Mère
Femme
Sœur
Fille
Signe féminin
Divinités qui forment dans les Cartouches.
Figuratifs
Symboliques.
Phonétiques
AMON
PHTAH
PHRÉ ou RÉ
NOUB (Cnuphis)
OSIRIS
SOVK
ANUBIS
SATÉ

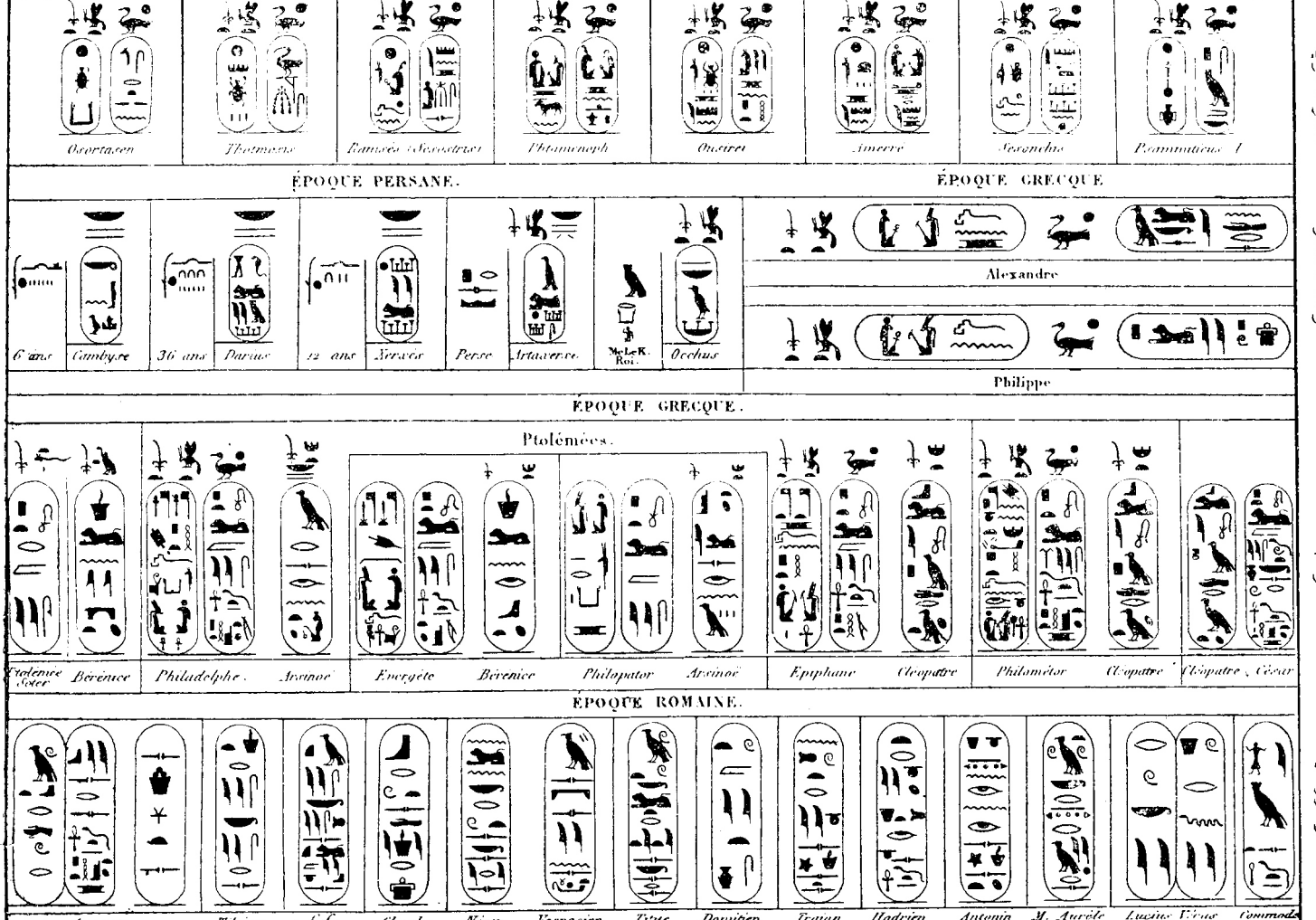
العصر المصري
Osortasen
Thoutmosis
Ramsès Sésostris
Thoutmosis
Oncires
Amenre
Seronchus
Rammaïses I
ÉPOQUE PERSANE.
ÉPOQUE GRECQUE
العصر الفارسي
عصر الاسكندر
6 ans
Cambyse
36 ans
Darius
12 ans
Xerxès
Perse
Artaxerxe
Mr Le R. Roi.
Ochus
Alexandre
Philippe
ÉPOQUE GRECQUE.
عصر البطالسة
Ptolémées.
Ptolemée Soter
Bérénice
Philadelphe
Arsinoe
Evergète
Bérénice
Philopator
Arsinoë
Epiphane
Cleopatre
Philométor
Cleopatre
Cléopatre, Cesar
ÉPOQUE ROMAINE.
العصر الروماني
Trajan
Hadrien
Antonin
M. Aurèle
Lucius Verus
Commode

التي لحروفها الهجائية اكثر من ثلاثة آلاف صورة ولا مرشد اليها . وكان بعض متقدمي اليونان قد حاولوا حلّ رموزها ولكن سعيهم ذهب سدىً . فخطر في ذات يوم للعلامة شمبوليون ان اللغة القبطية في مصر هي فرع من اللغة الهيروغليفية القديمة كما ان اللغة الفرنسوية فرع من اللغة اللاتينية . فشرع في درس اللغة القبطية . وبعد ان كتب عدة كتب في مصر وشؤونها القديمة وعُين مديراً للقسم المصري في متحف اللوفر في باريز لم يبقَ له همٌّ الاّ الحضور الى مصر ليرى سماءها بعينيه ويطأ ارضها بقدميه . فاجابته الحكومة الفرنسوية الى ذلك وعهدت اليه مهمة علمية فيها . فسار شمبوليون من طولون ووصل الى الاسكندرية في ١٨ اغسطس سنة ١٨٢٨ . وفي ذلك كتب يقول لاخيه في رسالة خصوصية « لقد وصلتُ في ١٨ اغسطس الى ارض مصر التي كنت منذ زمن بعيد اتنهد واشتاق لرُؤيتها . ولقد عاملتني الى الآن معاملة الام الحنون . وفي ظني انني ساحفظ فيها صحتي سليمة كما هي . وقد شربت من مائها البارد بقدر ما اردت . وهذ الماء من ماء النيل نفسه »

فتأمل كيف ان شربة واحدة من ماء النيل كانت تملأ نفس ذلك العالم مسرة وحبوراً ثم سافر شمبوليون الى الصعيد واقام بين خرائب ثيبة صيفاً كاملاً يدرس درساً دقيقاً وفي اثناء ذلك اكتشف اكتشافه الجليل الذي حلّ به رموز الهيروغليف

واليك الطريقة التي اهتدى بها الى هذا الاكتشاف

وُجد في رشيد حجر اشتهر بين علماء الآثار بحجر رشيد . وهذا الحجر نُقشت عليه كتابة قديمة بثلاث لغات : اليونانية . والمصرية العامية . والمصرية المقدسة (الهيروغليفية) وكانت الكتابة اليونانية والكتابة المصرية العامية سليمة في الحجر فتمكن (اكربلاد) من قراءة الخط المصري العامي وذلك بمقابلته بالخط اليوناني . واما الخط الهيروغليفي في الحجر فقد كانت قراءته متعذرة من سوء الحظ لان الحجر كان مكسوراً من شماله ويمينه ولم يكن فيه من الكتابة الهيروغليفية الا الثلث تقريباً . على ان العالم (يونغ) الانكليزي لاحظ ان كتابات هذا الحجر تحتوي ثلاثة اسماء مكررة في عدة مواضع فيها وكل اسم منها منقوش بهيئة خرطوشية (كما ترى في الرسم الثاني) وكانت هذه الاسماء لكليوبتره وبطليموس وبرينيس لان هذا الاثر كان من عهد البطالسة . غير ان الكتابة الهيروغليفية في هذا الحجر لم تكن تحتوي الا اسماً واحداً ضمن خرطوشة لانكسار الاسمين الآخرين . فافترض (يونغ) ان هذا الاسم الموجود في الكتابة الهيروغليفية هو اسم « بطليموس » وبناءً على هذا الافتراض قال ان الصورة الاولى هي الحرف (ب) والثانية (ت) وهلم جرًّا . غير ان هذا القول لم

يخرج عن كونه افتراضاً ولذلك وجب التفتيش عن دليل يثبته . فوجد شامبوليون هذا الدليل، وبيان ذلك انه كان يجول في ذات يوم في جزيرة انس الوجود (فيله) فعثر فيها على مسلة جميلة اقامها هناك كهان مصر القدماء اكراماً لكليوباتره وبطليموس ونقشوا عليها كتابة باللغة اليونانية . وكان منقوشاً على هذه المسلة اسمان ضمن خرطوشتين باللغة الهيروغليفية احدهما شبيه بالاسم الهيروغليفي الذي وجد على حجر رشيد . فلم يبقَ لدى شمبوليون شك في ان هذين الاسمين هما لكليوباتره وبطليموس . وانما بقي عليه ان يعلم ايهما لكليوباتره وايهما لبطليموس وبذلك يقبض على مفتاح بضعة حروف من اللغة الهيروغليفية فيفتح بها باقي اسرارها

واذا فتشتَ عن هذين الاسمين في الرسم الثاني وجدتَ اسم كليوباتره في الخرطوشة الثانية والثالثة والسادسة من العمود الثالث الذي كتبنا فوقه « عصر البطالسة » وهذه الحروف التي فيها هي نفس الحروف التي اهتدى بها شمبوليون الى حل رموز هذه اللغة . وكذلك اسم بطليموس تجده في الخرطوشة العاشرة من العمود نفسه . وفيه نفس الحروف التي هدت شمبوليون

ومن مقابلة هذين الاسمين تمكن شامبوليون من قراءة حروفها . فعلم ان ربع الدائرة في اسم كليوباتره هي الحرف (K) والاسد الرابض الحرف (A) والورقة التي وراءه هي الحرف (E) والغصن الملوي بجانبها هو الحرف (O) والمربع الذي وراءه هو الحرف (H) والطائر الذي بعده هو الحرف (A) واليد الممدودة بعده الحرف (T) والفم المفتوح تحتها الحرف (P) والطائر الاخير الحرف (A) ايضاً — وذلك طبقاً لاسم كليوباتره باللغة اليونانية

ومنذ هذا الحين اخذ شمبوليون يطارد باقي الحروف مستعيناً بالاحرف التي حلَّ رموزها فتمكن من قراءة كثير من اسماء الاعلام ثم تدرج شيئاً فشيئاً حتى صار يقرأ الكتابات الهيروغليفية على الآثار كما تُقرأ الكتب . وقد وضع قاموساً للغة الهيروغليفية والف كتاباً في صرفها وبيانها . وقد استعان كثيراً على ذلك باللغة القبطية التي مرَّ ذكرها . اما صدى اكتشافه في اوروبا فحدِّث عنه ولا حرج وقد جعله في اسمى مقام بين مكتشفي اوروبا . واليه يُنسب الفضل في اطلاق تاريخ مصر القديم من اسر الحجارة الصماء التي كان منقوشاً عليها وابراز بهاء عظمتها الماضية